النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي
النصرانيَّة في الحجاز ونجد (تابع)

ولم تخلُ بقيَّة مدن الحجاز من آثار النصرانيَّة كالطائف على مسيرة يوم من مكَّة (١ وعكاظ التي كان يجتمع في سوقها العرب فيتناشدون ويتفاخرون وهناك خطب قسّ بن ساعدة اسقف نجران كما رووا. وفي التقويم النبطوري (ص ٨) الذي اشرنا اليه سابقاً فطبعهُ حضرة الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ ان النساطرة كان لهم كنيسة في عكاظ مع جماعة من اهل دينهم والله اعلم

*

وان توغَّلت في قلب جزيرة العرب ورقيتَ ما يرتفع في اوساطها من التلال والمشارف لقيت بلاد نجد التي افاض شعراء العرب في مدحها لطيب هوائها وجودة تربتها كقول بعضهم:

فيا حبَّذا نجدٌ وطيبُ ترابهِ إذا هضبَتْهُ بالعشيّ هواضبُهْ
وريحُ صبا نجدٍ اذا ما تنسَّمت ضُحًى او سرت جنحَ الظلام جنائبُهْ
بأجرع مرّاءٍ كأنَّ رياحهُ سحابٌ من الكافور والمسكُ شائبُهْ
واشهد لا انساهُ ما عشتُ ساعةً وما انجابَ ليلٌ عن نهار يعاقبُهْ

ففي نجد وجهاتهِ وجدت النصرانيَّة لدعوتها قلوباً تقبَّلتها بالترحاب فهناك كانت عدَّة قبائل عُرفت بتديُّنها بدين السيد المسيح كطيء والسكون والسكاسك وكندة وقد مرَّ بك انَّ ثمَّ كانت اديرة لرهبان النصارى كدير سعد في بلاد غطفان ودير عمرو في جبال طيء قرب جوّ من ديارهم

١) وكانت ثقيف تسكن الطائف ومنها كان ابو رغال الذي تقدَّم الحبش وصار دليلهم لمحاربة مكَّة

اما نصرانيّة قبائل نجد فلنا عليها عدّة شواهد. قال السائح الانكليزي بالغراف في كتاب رحلته الى جزيرة العرب (ج ١ ص ٦١) عن بلاد الجوف: «ان اهل الجوف لا يعرفون عن اصلهم وتاريخهم الا القليل لكن التقاليد المحليّة تزعم انّ تلك البلاد كانت قبلًا تدين بالنصرانيّة وانّ انصار النبيّ كعلي وخالد بن الوليد اضطرّوا الى استعمال اقطع الادلّة اي السيف ليدخلوا اهلها في الاسلام (١)»

وقال في محلّ آخر (ص ١١١): «قبل الاسلام كانت قبائل العرب في وسط الجزيرة واقعة في بجبوحة السلام الذي فقدتهُ بعد ذلك. وكان اكثرها يدين بالنصرانيّة بل يرجّح انها حفظت دينها بعد الاسلام الى خروج بني اميّة عليها (٢)»

وخصّ بالذكر تلك القبائل المتنصرة فقال (ص ٨٤) انّ عرب نجد قبل الاسلام كانوا من تغلب وتنوخ وكندة وطيّ. وقد لقي ذاك السائح هناك عدّة آثار وابنية سمع الاهلين ينسبونها الى قدماء النصارى من جملتها بير شكيك الذي نزل بقربه

وليس كلام هذه الرحالة حديث خرافة بل تؤيد روايتهُ الآثار القديمة وتاريخ قبائل نجد. وكانت اعظم تلك القبائل كندة ومنها السكون والسكاسك الذين ذكر تنصرهم ابن خلدون في تاريخهِ (٢: ٢٤٩). وكان لكندة بيت ملك فتولّوا على بني معدّ في انحاء نجد واوّلهم حجر آكل المرار ثم خلف حجرًا بنوهُ من بعدهِ ومنهم كان امرؤ القيس الشاعر

---

١) هذا نصّهُ بالحرف: Les Djawfites savent peu de chose sur leur origine et leur histoire ; les anciennes traditions locales prétendent pourtant que le pays était chrétien, et que pour le convertir à l'islamisme, les sectateurs du prophète, Ali et Khalid - ebn - Walid durent employer le plus tranchant de tous les arguments, le glaive. » (Palgrave: *Voyage dans l'Arabie Centrale*. p. 61)

٢) وهذا قولهُ: « Les tribus du centre de la Péninsule jouissaient d'un calme et d'une prospérité qui plus tard leurs furent étrangères. La plupart avaient embrassé la foi chrétienne et probablement la professaient encore à l'époque ou elles repoussèrent l'invasion des Omniades. » (Id. I, 111)

اما نصرانيّة كندة فلا شكّ فيها وقد اثبتنا ذلك في مقالة خصوصيّة حيث رددنا على مزاعم حضرة الاب انستاس الكرملي في مزدكيّة امرئ القيس (راجع المشرق ٨ (١٩٠٥) ص ٩٩٨ — ١٠٠٦). وقد ذكرنا الكتابة التي وضعتها على صدر ديرها هندُ الكبرى بنت الحارث الكنديّة حيث تفتخر بكونها « أَمَة المسيح وام عبده (اي عمرو بن هند) وبنت عبيده » (اي الحارث بن عمرو بن حجر ملوك كندة). ورويتا ايضاً النصوص اليونانيّة التي نقلها فوتيوس في مكتبته (Migne-P. G. III, 46 — 47) عن المعاهدات التي ابرمها ملوك الروم مع ملوك كندة في ايّام انسطاس ويوستينوس ويستنيان ولولا نصرانيّة كندة لما تساهلوا بذلك على الاطلاق. ويؤيد ذلك عبد المسيح الكندي في رسالته الى الهاشمي في ايّام المأمون. وقد ذكر هذه الرسالة ابو الريحان البيروني في الآثار الباقية (ص ٢٠٥ من طبعة ليبسيك) قال الكندي (ص ١٢٤ من طبعة لندن سنة ١٨٨٠):

« ولسنا نحبُّ ان نفتخر بما لنا من السبق والسَّبق في البريّة وشرف الآباء فيما اذ كان ذلك سروفاً غير مجهول لاباننا واجدادنا . فقد علم كلّ ذي علم ولبّ كيف كانت ملوك كندة الذين هم ولدونا وما كان لهم من الشرف على سائر العرب لكنّنا نقول ما قالهُ رسول الحقّ بولس: ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فانهُ غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفتخر به الّا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبه نهتدي الى العمل الصالح ونعرف الله حقّ معرفته ونتقرّب اليه وهو الباب المؤدي الى الحياة والنجاة من نار جهنم »

وقال في محلّ آخر (ص ١٠٣) يشير الى دين كندة اجداده :

« ولولا انّ الديانة عندي اشرف من الحسب الجسداني الزائل لكان يسمى الكوت . . . لكنّي وجل نصراني ولي في هذه الديانة سابقة هي حسبي ونسبي وشرفي الذي اتشرّف به وافتخر بمكاني منهُ وارغب الى الله في إماتتي على هذه الديانة وحشري عليها فانهُ غاية املي ورجائي الذي ارجو به الخلاص من العذاب في نار جهنم والدخول الى ملكوت السماء والخلود فيها بفضله واحسانه وسعة رحمته »

فصحّ اذن انّ بلاد نجد لم تشذّ عن سواها في قبول الدين النصراني فشاع فيها كما شاع في بقيّة انحاء العرب. وبهِ نختم هذا الفصل الذي تحرّينا فيه تاريخ النصرانيّة في جميع جهات العرب (لهُ بقيّة)